مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة: تحليل الخطاب عند فان دايك أنموذجاً

الدكتور محمد بصل*
فراس سعيد**

(تاريخ الإيداع 19 / 7 / 2018. قبل للنشر في 25 / 9 / 2018)

□ ملخّص □

نشأت نظرية أفعال الكلام على يد فيلسوف اللغة الإنجليزي جون أوستن الذي يعد أباً للتدوالية ، و كان قد تأثر بفيلسوف اللغة فتجنشتاين الذي يرى أن المعنى هو الاستعمال ، وقد غدت هذه النظرية أكثر النظريات أهميةً في ستينيات القرن الماضي وحتى وقتنا هذا ، وما زالت ترفد بالآليات والمفاهيم التي تزيدها غنى ، وأصبحت هذه النظرية منهجاً لتحليل الخطاب بأنواعه كافةً، وفي هذا المجال تبرز أهمية الأبحاث والدراسات التطبيقية التي أقامها الهولندي فان دايك على الخطاب وفق نظرية الأفعال الكلامية .

الكلمات المفتاحية : الخطاب ، الفعل الكلامي ، تحليل ، فان دايك .

* **أستاذ– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**
** **طالب دراسات عليا (دكتوراه)– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

The analysis of the speech act by Van Dijk

Dr. Mohammad Basal*
Ferias Saied**

(Received 19 / 7 / 2018. Accepted 25 / 9 / 2018)

□ ABSTRACT □

The speech act theory started by the English language philosphor John Austin , who is considered as the father of linguistic , he was influenced by the language philospher Witginstain who thinks that the meaning is the usage, this theory had become the most important one in the last sixtys century uptill now , it is also still having more techniques and concepts to make it richer, moreover, this theory becomes a methology to analyse the speech act in all its types, in this field , the importance of the researches and the pragmatic studies which the Holandian Van Dijk restruct rely on the speech act theory.

Key words: Analysis , speech act , discourse , Vav Dijk.

* **Professor of Language and Linguistics, . Department of Arabic ,Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria .**

** **Postgraduate student of Language and Linguistics ,Department of Arabic ,Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة :

لم يعدّ النظر إلى اللغة على أنّها تعبيرٌ عن حالةٍ ما وحسب ، إنّما أصبحت تدرس على أنّها فعلٌ أو سلوكٌ يقوم به المتكلم ؛ إذ إنّنا عندما نتلفّظ قولاً ما فنحن ننجز سلوكاً ناتجاً من ذلك التلفظ في الوقت نفسه ، وتلك هي الثورة التي جاءت بها التداولية في تعاملها مع اللغة، ولعلّ ما يميز التداولية عن سواها من النظريات أنّها نظريةٌ متحركةٌ وقابلةٌ للتطور ، إضافةً إلى قدرتها على استيعاب علومٍ متعدّدةٍ ومختلفةٍ ، وقد أدّى هذا التنوع إلى تنوّع مفاهيمها ، وتعدّد أعلامها، حيث أفاد كلٌّ منهم بجانبٍ ما ، وأردف التداولية برافدٍ علميٍّ جديد زاد من علمية هذه النظرية، وتبرز هنا إسهامات الهولندي فان دايك Van.Dijk الذي قدّم لنظرية الفعل الكلامي والتي هي إحدى نظريات التداولية – دراساتٍ عميقةً في تطبيق هذه النظرية على النص ، وعالج الفعل الكلامي من حيث الموقع والبنية والأثر والإنجاز في نصٍّ ما، وهذا ما سنعرضه في هذا البحث.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث في تسليط الضوء على ما قدّمه عالمٌ لغويٌّ فذٌّ في مجال تحليل الخطاب وفق نظرية الأفعال الكلامية ، حيث استطاع أن يطوّر هذه النظرية ، ويقبل على تطبيقها في خطاباتٍ متنوّعة ، كما تنبع أهمية هذا البحث في تقديم مادّةٍ علميةٍ تعين الباحث في الاطّلاع على آراء أحد علماء اللغة ، والاستفادة منها في إغناء أبحاثهم ودراساتهم، كما أنّها تفتح الباب أمام دراسة النتاج العلمي لهذا العالم وتطبيقها على الخطاب العربي: قديمه وحديثه ؛ بغية الكشف عن جوانب لم تكشف بعد .

أهداف البحث :

إنّ من أهم أهداف البحث تسليط الضوء على نتاجٍ علميٍّ جديرٍ بالدراسة ، كما أنّ إغناء المكتبة العربية بدراساتٍ علميةٍ تزيد من علميّتها وتوسّع من مجالاتها ، وتشكّل عوناً للباحثين والمهتمين، هي أحد الأهداف المرجوّة من هذا البحث.

منهجية البحث :

إنّ طبيعة البحث تحتّم علينا اتّباع المنهج الوصفي ؛ إذ إنّنا سنقوم بتتبع الأثر العلميّ لعالمٍ لغويٍّ، وسنحاول توصيف مادته العلمية ، ونقل آرائه بأمانةٍ دون تحريفٍ أو تدليسٍ، ولأنّ البحث يسير نحو تقديم مادّةٍ للاستفادة والدراسة، فإنّنا نجد هذا المنهج منهجاً علمياً يفي بالغرض الذي جاء عليه البحث .

1-تمهيد :

لاحظ أوستنAustin أن هناك عبارات إذا نطقت بها لاتنشئ قولاً فحسب ،بل تؤدّي فعلاً في الوقت نفسه، و يرى سيرلJ.Searl أنّ أفعال الكلام تشكل أقل الوحدات في التواصل اللغوي ، بل إنّها أقل وحدة في استعمال اللغة الفعلي[1] . وقد قسّم الأعمال اللغوية إلى خمسة أقسام، وهي:[2]

---

[1] ينظر : فلسفة العقل – دراسة في فلسفة جون سيرل – صلاح إسماعيل- دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –د/ط – 2007م ص41.

[2] ينظر : التداولية من أوستين إلى غوفمان – فيليب بلانشيه ص66

– التصريحيات : الغرض منها إحداث تغييرٍ في العالم الخارجي ،مثل :أعلن و أخبر .

– الوعديات : تهدف إلى جعل المتكلم ملتزماً إنجاز عملٍ ما ، مثال: سوف أذهب، وتكون الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية.

– الإخبارات : تتطابق فيها الكلمات مع العالم ،مثال: سيأتي غداً ، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى.

– الطلبيات : ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمرٍ ما، مثال: اخرج ، والحالة النفسية رغبةٌ أو إرادةٌ .

– الإفصاحات : الغرض منها التعبير عمّا نشعر به من حالاتٍ انفعاليّةٍ، مثال :اعذرني .

وقد تحدّث سيرل عن الفعل الإنجازي Illocutionar act الذي عدّه الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي ، كما تحدّث عن القوة الإنجازية من خلال دليل القوة الإنجازية Illocutionary Force Indicator ، الذي يبيّن نوع الفعل الإنجازي ، والذي يؤدّى بالنطق من خلال نظام الجملة ، أو النبر ، أو التنغيم، أو علامات الترقيم ، أو صيغة الفعل ، أو الفعل الأدائي ... إضافةً إلى كون الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يُحدّ بمقصد المتكلم ، بل هو مرتبطٌ بالعرف اللغويّ والاجتماعيّ . ثمّ معالجة الأفعال الإنجازية المباشرة ، وغير المباشرة ، فكان ما قدّمه إيذاناً بتدشين نظرية سيرل في الأفعال الكلامية ، واتي فتحت الباب على مصراعيه أمام الدرس التداولي.

2–النظرية التداولية عند عند فـان ديــك : van dijk

لقد درج تناول السياق في دراسة اللغة والخطاب بالنظر إلى عددٍ من المتغيرات الاجتماعية المستقلة ، كالنوع والطبقة الاجتماعية والخلفية العرقية والسن والهوية أو الظروف الاجتماعية التي تحيط بالخطاب نصّاً كان أم كلاماً ، إلّا أنّ فان دايك يؤكّد فشل الاتّجاه التحليلي الذي يهتمّ بتحليل الظروف الاجتماعية لخطاب القوة (السلطة) في تطوير نظرياتٍ واضحة المعالم للسياق؛ "إذ إنّ القوة لا تتبدى في بعض أبعاد خطاب الأقوياء فحسب ،بل تبقى الحاجة إلى فهم سياقها الواسع المركّب حتى تتجلّى علاقتها بالخطاب نصاً كان أم كلاماً وحتى نفهم كيف يعيد الخطاب إنتاج البنى والأنساق والعلاقات الاجتماعية "[3]

ليس الموقف الاجتماعي ما يؤثر في الخطاب أو يتأثر به ، بل رؤية المشاركين في الخطاب لهذا الموقف وإدراكهم إياه ؛ "فالسياقات مجموعةٌ من التصورات الذاتيّة الشخصيّة التي تتشكّل وتتغير باستمرار أثناء التفاعل بين المشاركين في الخطاب بوصفهم أفراداً ينتمون إلى جماعاتٍ ومجتمعاتٍ " [4]

يرى فان ديك أنّ الاهتمام بالمستوى التداولي مهمٌّ لتحديد بنية العبارة ؛ إذ لا يكفي – لفهم المقصود – دراسة المستويين الشكلي والدلالي، "فصياغة القواعد التداولية من علم النحو ينبغي أن يفسّر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات الصحيحة بل القدرة على استخدام مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية استخداماً متطابقاً "[5]

إنّ ديك يرى أنّ تفسير الخطاب لا يتحصّل إلّا بالتداولية ، ولكن في حدود الإطار النحوي ، وهو بذلك يربط بين المستوى الدلالي والمستوى التداولي .

ولا يخرج فان ديك عن الصيغة الإنجازية للغة في التداولية؛ إذ إنّ " ما نعنيه بقولنا :(إننا نفعل شيئاً ما متى صغنا عبارةً معيّنةً)هو أنّنا نقوم بإنجاز فعلٍ اجتماعيٍّ، كأن نعد أو نطلب أو ننصح ، وغير ذلك ممّا شاع وذاع أن

---

[3]النص والسياق :استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي – فان ديك ،ترجمة :عبد القادر قنيني –الدار البيضاء إفريقيا الشرق 2000م ص14 بتصرف

[4]السابق ص16

[5]الحجاج في التداولية – د صابر حباشة – ص210

يُطلق عليه أفعال الكلام "[6]، و تتوقّف مقاصد المتكلمين على ما يقدّمه الخطاب من معلوماتٍ ووقائع من جهةٍ، وعلى ضروب المعرفة والاعتقاد التي تكوّنها البيئة الاجتماعية من جهةٍ أخرى[7] .

3-الفعل الإنجازي عند دايك :

لقد استُثمرت مقولات الفعل الإنجازي في علم اللغة النصيّ ، وفي النقد الأدبي الحديث في الغرب على نطاقٍ واسعٍ منذ سبعينيّات القرن المنصرم ، حيث نُظر" إلى الكلام الأدبي وغير الأدبي بوصفه فعلاً لغوياً Speech Act يدلّ عليه قصد المتكلم ، ...وأنّ إدراك المعاني الحقيقة للمنطوقات إنّما يتحقّق في سياقات الاتصال الفعلية"[8].

و قامت البحوث النصّية –المعتمدة على نظرية الفعل الكلامي– بالانطلاق من الاتجاه النصي التداولي الذي ينظر إلى النصّ برمّته على أنّه وسيلةٌ اتّصاليةٌ ، بحيث أنّ النصّ لم يعد هو نقطة الارتكاز في التحليل ، و" يقوم الاهتمام بالبحث النصيّ المتأثّر بنظرية الحدث على تساؤلين : أوّلهما: كشف المبادئ التي تُربط على أساسها الأحداث الجزئيّة ، لتكوّن أبنية الأحداث المركبة في النصوص من جهةٍ ، و ثانيهما: تعريف السياق في أبنية الحدث في النصوص مع أبنيتها اللغوية المناسبة، لنصل بذلك إلى أهداف الحدث بواسطة قول العبارات."[9]

ويرى فان دايك أنّه يجب النظر إلى النص بوصفه فعلاً للسان ، أو بوصفه سلسلةً من أفعال اللسان ، ويتكوّن السياق التداولي لديه من كل العوامل النفسيّة والاجتماعية التي تُحدّد نسقياً لكي تلائم أفعال اللسان ، مثل : المعرفة، والرغبات، والتفضيل ، وحكم مستعملي اللغة وإنجازاتهم الاجتماعية ، ومن خلال هذا السياق يمكن التحديد الدقيق لقوة إنجاز أفعال الكلام .

كما يرى أنّه من الممكن تحليل النصّ على أنّه متواليةٌ من أفعال الكلام، مثلما يُحلّلُ على أنّه متواليةٌ من الجمل ،وأنّه يمكن إدخال بُنى كبرى تداولية لأفعال الكلام، كما أدخلت بنى كبرى لمضمون النص، بل يمكن النظر إلى النص على أنّه فعلٌ كلاميٌّ كبيرٌ من أفعال اللسان[10].

ولأنّ المداخلة تكاد تكون نوعاً خاصاً من المحادثة التي ينتفي عنها التلقي السلبي ؛ فلابدّ أن ينشأ فيها" تفاعلٌ لغويٌّ يتكوّن من خلال سلاسل الأفعال الكلامية للمشاركين في الحدث "[11].

4- الفعل الكلامي بين الجزئي والمركّب :

قسّم فان دايك أفعال الكلام إلى أفعال كلام مركبة ، وأفعال كلام بسيطة ، والفعل الإنجازي البسيط هو ما يحدث عنه أثر واحد مراد . ويضاف إلى ذلك الفعل الإنجازي المساعد ، وهو كلّ فعلٍ تُقصَد نتيجته كشرطٍ كافٍ لنجاح فعلٍ رئيسٍ بسيطٍ .

والفرق بين الفعل الجزئي البسيط والفعل المساعد: أنّ الفعل المساعد هو ما يجعل جزء الفعل وحده ناجحاً، ثمّ إنّ الفعل المساعد قد يُؤدّى بواسطة شخصٍ آخر غير الشخص الأصلي . ومثال ذلك : بناء الجدار من المنزل فعلٌ جزئيٌّ بسيطٌ، ولكنّ خليط الإسمنت فعلٌ مساعدٌ.

---

[6] النص والسياق ص263

[7] السابق ص263

[8] محمد العبد : النص والخطاب والاتصال ، ص 278 .

[9] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص) ، ص 29 .

[10] فان دايك : النص بنى ووظائف ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص ، ص ص 170 – 174 .

[11] فان دايك : علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات) ، مرجع سابق ، ص 134 .

وقد قسّم فان دايك أفعال الكلام المركّبة قسمين : بسيطةٌ (متآلفةٌ): تقوم على عناصر الأفعال المكوَّنة من المستوى نفسه ، ومعقَّدةٌ وتكون عندما يصبح جزءٌ أو أجزاءٌ داخلةً في عناصر الأفعال الكبرى كالفعل المساعد. . كما فرَّق فان دايك بين متوالية الأفعال الكلامية ، والفعل الكلامي المركَّب ، حيث للأخير نتيجةٌ مخططةٌ قصداً ومحدّدةٌ بوضوحٍ ، ويتحدّد ظهور الأفعال عن طريق خطّةٍ واحدةٍ ، وتكوّن الأفعال الجزئيّة شروطاً لما يتلو من أفعال ، مع احتمال وجود غرضٍ معيّنٍ في سلسلة الأفعال البسيطة أو المركبة . أمّا متوالية الأفعال الكلامية فيمكن أن تكون منفصلةً مستقلةً بعض الاستقلال ، و العلاقات الموجودة بين عناصرها لم تخطط ، ولم تصمم لتحقيق نتيجةٍ مخصوصةٍ "[12]. والحقُّ أنّ الفرق بين متوالية الفعل الكلامي ، والفعل الكلامي المركّب غير واضح المعالم ، والدليل على ذلك أنّ فان دايك يرى أنّ متوالية الأفعال تؤوّل كفعلٍ واحدٍ إذا صحّ تعيين غرضٍ كليّ واحدٍ أو هدفٍ واحدٍ . ولا يمكن تصوّر متواليةٍ لا تؤدّي ذلك الدور . والأولى أن يكون الفرق بين الفعل المركب ومتوالية الأفعال هو: أنّ الفعل المركب ما عُرفت نتيجته وخطته سلفاً عن طريق التواضع كبناء منزل ودراسة اللسانيات . أمّا المتوالية فلا تشترط المعرفة المسبقة التي يمكن أن تتضح خلال السياق أو يمكن ألا تتضح . أمّا الخطة والقصد والهدف الواحد فتتحق في الفعل المركّب والمتوالية[13].

5-تحليل الفعل الكلامي :

يتطلّب تحليل الأفعال المنجزة تحقيق تأثّرٍ عالٍ، كما أنّ فان دايك يأخذ بوجهة النظر القائلة" بأنّه لا توجد فائدةٌ في التكلّم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام بعيداً عن السياق المحدد تحديداً اجتماعياً ، وهو السياق الذي يكون فيه المخاطَب حاضراً ، والذي يحدث فيه تغييرٌ ما على المخاطب ، وذلك طبقاً لأغراض ومقاصد المتكلّم مع شرط التواضع والاتفاق "[14] .

ويرى أنّه لا يمكن وصف الأفعال التداولية بمنطق حساب المحمولات ؛ لأنّها لا يمكن أن تبيّن نوع الفعل أو اختلاف الأثر ، في حين يمكن وصفها عن طريق البنية المنطقيّة للقضية اللغوية مع إجراء تعديلٍ أو تعبيرٍ خاصٍّ لمناسباتٍ وأحوالٍ متماثلةٍ " وعلى ذلك فإن الصيغة : (ق ت~ ق) يمكن أن تقرأ على النحو الآتي : " إنّ الحالة (ق) تتغيّر إلى حالةٍ موصوفةٍ جديدةٍ (~ ق) ممّا يفسّر الحدث المتغير المتضمّن في إنجاز الأفعال"[15].

ولكن فان دايك يرى أيضاً أنّ هذه الرمزية البسيطة هي رمزية حال إنجاز الأفعال ، وليس بالضرورة أن تكون دالةً على الأفعال .

6- خطوات تحليل متوالية أفعال الكلام :

1- تنزل أفعال الكلام في سياقاتها و " السياق هو عبارةٌ عن تجريدٍ عالي الصورة المثالية ، وهو يحتوي على أحداثٍ تُعين- على نحوٍ مُطّردٍ – مناسبة العبارات المتواطأ عليها ، مثل : أفعال كلام المشاركين ، وتكوينهم الداخلي (معرفتهم ، واعتقادتهم ، وأغراضهم ، ومقاصدهم) " [16]، والنجاح التداولي المتحقّق بالنظر إلى السياق يمكن أن

---

[12] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ص 240

[13] محمد العبد : النص والخطاب والاتصال ، مرجع سابق ، ص 278

[14] السابق 245.

[15] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ص252

[16] السابق : ص254

يُطلق عليه المناسبة ، وتكون بنية السياق هي الدينمايكية المحرّكة ، فالسياق يمثّل متواليةً من أحوال اللفظ، وعليه فإنّ كلّ سياقٍ هو عبارةٌ عن اتجاه مجرى الأحداث ، وقد يدلّ على حالةٍ ابتدائيةٍ أو وسطى أو نهائيّةٍ.

أمّا السياق، فله وظيفيتان رئيستان هما : وظيفة حال المتكلم ، ووظيفة حال المخاطب .

2- مراعاة الضوابط المحددة لترتيب التمثل الذهني لأفعال الكلام وهي :

أ. ترتيب متوالية الحدث و ترتيب إدراك فهم متوالية الحدث، وهما ضابطان سيميائيان.

ب. ترتيب نقل المعلومات وترتيب قوى أفعال الكلام ، وهذان ضابطان تداوليان [17].

فمبدأ الترتيب العادي مهمٌ ؛ لأنّنا نحاول أنّ نتمثل متوالية الأحداث في ترتيبها الزمني والعِلّي ، ثمّ إنّ الضوابط المعرفية قد ينبني عليها ترتيبٌ مختلفٌ ، فملاحظتنا وإدراكنا وتأويلنا لهذه الأحداث قد يغيّر من طريقة ترتيبها ، فضلاً عن طريقة نقل المعلومات في النص ، وأفعال الكلام التي قد تؤثّر في بعضها . إضافةً إلى موضوع التحاور الذي قد يحدّد- هو أيضاً - طريقة الترتيب.

3- يرتبط تحليل متواليات إنجاز قوى أفعال الكلام عند فان دايك بمتواليات جمل الخطاب ، إذ إنّ حدود الجملة يمكن أن تمثل عنده الفعل الكلامي في التحليل ، مع الأخذ في الحسبان تفريقه بين الجملة البسيطة والجملة المركّبة ، التي هي اقتضاءٌ بالمعنى التداولي، أي يفرضها المتكلم ويعللها المخاطب ، أمّا متوالية الجمل فهي إثباتٌ أو تقريرٌ ، أي إنّ الجملة المركبة هي التي يكون بين أجزئها علاقةٌ اقتضائيّةٌ لا يمكن فهم إحداهما دون الأخرى. ويرى فان دايك أنّ العلاقات بين الجمل ليست علاقاتٍ دلاليةً فحسب ، بل هي علاقاتٌ تداوليةٌ أيضاً، تتكوّن عن طريق الروابط التداولية ، وهنالك بعض الروابط التي تكثر في الربط التداولي ، كالروابط العِلّية والاستنتاجية مثل : ولذلك ، وعلى ذلك ، ومن ثمّ ، إذن ... إلخ ، ولكن بقية الروابط قد يفهم منها الربط التداولي كالواو: التي - وإن كانت مهمتها الربط بين العبارات - إلّا أنّها قد تربط تداولياً حالة القبول والرفض ، أو تعدد الأحداث . وكذلك (أو) التي قد تربط تداولياً لزوم القضية ، وكذلك روابط المخالفة (لكن ، مع إنّ ، بالرغم من ...) التي قد تربط أحداثاً وقعت ولكنّها غير متوقعة . أمّا التفريق بين الاستعمال الدلالي للروابط والاستعمال التداولي ، فالأوّل يشير إلى العلاقات بين الوقائع، والثاني إلى العلاقات بين الأفعال الكلامية ." [18]

4- وصف الفعل التداولي في النص يتم بواسطة السيمائية النظرية ؛ لأنّها تعطي تركيباً عالي التجريد .

7- تحليل البنيات التداولية الكبرى :

يرى فان دايك أنّه " من الضروري أن نميّز بين بنية أفعال الكلام الفرد والتركيب الخطي المستقيم لمتواليات فعل الكلام من ناحية أولى ، والبنية الكلية الشاملة للفعل المشترك الإنجاز من ناحية ثانية ... [ويقول]: ونحن نفهم من التداولية الكبرى دراسة التنظيم الشامل للفعل المشترك الإنجاز أعني متوالية أفعال الكلام والسياق وعلاقتهما ببنية الخطاب "[19].

والبحث عن بنية كلية شاملة لأفعال الكلام أمر حتمي ؛ لأن متوالية أفعال الكلام المتنوعة تكون لها وظيفة إجمالية واحدة ، كما أنه قد تبين أن وضع التخطيط والتنفيذ والتأويل أي معالجة المعلومات المعقدة يحتاج إلى صياغة البنيات الشاملة الكبرى ، والأمر نفسه يصدق على متواليات أفعال الكلام ، وعلى تخطيط الفعل وإنجازه، وتنفيذه ...

---

[17] **السابق ص259.**

[18] **فان دايك : علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات) ، مرجع سابق ، ص 144**

[19] **فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، مرجع سابق ، ص 309 .**

ولكشف البنية التداولية الكبرى، لابد من عمل خطاطات وتصاميم للقيام بالفعل " وليست مثل هذه الخطاطات مجرد النظير الذهني للمتواليات المنظمة على شكل تراتبي ، بل الأولى أنّ التصاميم تقوم على بنياتٍ تراتبيةٍ لتنظيمٍ كليٍّ للمتوالية ، وتحت الضبط والتوجيه الكلي لهذا التصميم والتخطيط يمكن أن يقع اختيار الأفعال الفردية ، وأن تُصمّم وتُعد وتنفذ ، ويمكن أن تكون بعض مراحل هذا التنظيم ضروريةً ، وبعضها اختياريةً محتملةً ، وبعضها اختياريةً غير محتملةٍ "[20] .

وعلى ذلك يكون هناك في تلك البنيات التداولية الشاملة أفعالٌ تمهيدية ، وأفعالٌ ضرورية الوجوب ، ويمكن الوصول إليها عن طريق ترك أو حذف الأفعال الجزئية الاختيارية ، أو الأفعال التمهيدية ونتائجها ، أو الأفعال المساعدة ، كما قد يتخالف تصميم البنية الشاملة مع التصميم الذهني للأحداث ، بل يمكن التعويض عن عدّة أفعالٍ بفعلٍ واحدٍ، إذن الوصول إليها يكون بواسطة العمليات الأولية الآتية : الاختيار – الحذف – التعويض .
أمّا البنية الكبرى ، فلها "وظيفتان معرفيتان أساسيتان : فهي تُنقص دمج المعلومات إلى أدنى مستوى ، وفي ذات الوقت تنظم هذه المعلومات تبعاً لبعض المقولات الكبرى المحددة لوظيفة توابع المتوالية وما يلحق بها أو بنيتها الكبرى بالنظر إلى المتوالية ككل"[21] .

8- الفعل الكلامي وتحليل الخطاب :

1- الفعل الإنجازي وعلاقته بالنصّ :

لأجل تحقيق أقصى إفادةٍ مرجوةٍ في تحليل النصوص من خلال الفعل الكلامي من المستحسن الأخذ بجملةٍ من الملحوظات المهمة وهي كالآتي :

أولاً : يذهب فان دايك إلى أنّ تحليل الأفعال الكلامية من الأفضل أن يقتصر على النصوص التي تملك بالفعل السياق الحقيقي التداولي [22]، في حين ترى فئةٌ أخرى أنّه يمكن معالجة جميع النصوص معالجةً تداولية ، وترى أنّ هذه المعالجة مؤذنةٌ بمستقبلٍ جديدٍ للدراسات الأدبية والنقدية بالذات[23] .

ثانياً : من المعروف أن الفعل الكلامي الإنجازي هو الذي يمثّل مقاصد المتكلم ؛ لذلك فإنّ تحليل تلك الأفعال لابدّ أن يأخذ هذا الأمر في الحسبان ، ومن هذا المنطلق فإنّه لا يمكن عدّ بعض الأفعال في النصّ أفعالاً كلاميةً إنجازيّةً ، والأمر ذاته في الجمل الاسمية أو الفعلية التقريرية التي يمكن أن تنضوي أكثر من جملةٍ منها في حكمٍ واحدٍ .

ثالثاً : يمكن في بعض النصوص الشفهية إدراج بعض الأفعال الماوراء لغوية أو بعض تعبيرات الوجه وحركة الجسم في تحليل أفعال الإنجاز الكلامية إذا وردت داخل نصٍّ لغويٍّ شفهيٍّ ، إذ قد تدلّ تلك الأفعال الماوراء لغوية ليس على فعلٍ كلامي إنجازي عادي فحسب ، بل قد تدلّ على فعل الكلام الإنجازي الشامل أو الكلي.

رابعاً : إنّ فعل الكلام الإنجازي الشامل أو الكلي؛ أيّ : تأويل النصّ بوصفه فعلاً كلامياً إنجازياً واحداً ، هو أمرٌ ليس من السهولة الوصول إليه ؛ لذلك – وعلى الرغم من أنّ فان دايك يرى أنّ الضوابط الكبرى في الوصول إلى بنية المداخلة الكبرى الدلالية يمكن أن تقوم بالدور نفسه في الوصول إلى الفعل الكلامي عن طريق تقسيم الأفعال

---

[20] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ص311.

[21] المرجع السابق : ص 320

[22] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ص 266 .

[23] محمد العبد : النص والخطاب والاتصال ، مرجع سابق ، ص 278

الكلامية إلى أفعالٍ تمهيديةٍ ، وأفعالٍ ضرورية الوجوب ، وأفعالٍ راجحة الاختيار ، وفعلٍ كلامي مركبٍ أو فعلٍ كلاميٍّ مساعدٍ ، أو فعلٍ كلاميٍّ معقّدٍ[24] – لذلك فإنّه يصرّح بأنّه لا يملك في هذا الموضوع إلا استراتيجيةً إجماليةً[25] .

خامساً : يتبيّن من مقارنة البنية الدلالية الكبرى في النص بالفعل الكلامي الإنجازي الشامل أو الكلي فيه، أنّ هناك علاقةً بين البينة الدلالية الكبرى والفعل الكلامي الإنجازي الشامل ، وهذا ما يؤكّده فان دايك الذي يذهب إلى أنّ " معنى الخطاب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفعل الكلام ... كما أنّ الاتفاقات المتواضع عليها تداولياً ومجتمعياً قد تحدّد في ذات الوقت الاختيار السيميائي من بين المعلومات المعروضة ، وعليه فإنّ صياغة البنيات السيميائية تكون أيضاً وظيفةً لبنيةٍ تداوليةٍ كبرى ، وتحدّد القضية الكبرى المحتوى المعيّن لفعلٍ كلامي "[26] .

ولكنّ تلك العلاقة ليست حتميّةً في جميع السياقات أو جميع النصوص ، بيد أنّ الفعل الكلامي الإنجازي هو العامل المؤثر في تحديد البنية الدلالية الكبرى للنص ، ولا يمكن أن يتصوّر عكس ذلك . كما قد يؤثر في البنية النحوية ، والمعجمية ، وأدوات الربط ، فما يوجد في نصٍّ حجاجي فعله الشامل (أقنعك بكذا) يلزم منه أن يكثر فيه بنىً نحويةٌ ورابطيةٌ ، ومعجميةٌ خاصة .

سادساً : يتبين من تحليل أفعال الكلام _في كثيرٍ من النصوص المختلفة– أنّه يقوم على مقاصد المتكلم الجزئية التي تفضي إلى القصد الشامل للنص بواسطة أفعال الكلام، مما يُعين على فهم النص عند المخاطب الذي يُبنى على قصد المتكلم ، ومن أجل ذلك يمكن الإفادة من تحليل فعل الكلام في فهم النص الفهم الأمثل .

2– تحليل وظيفة النص في ضوء فعل الكلام الإنجازي :

يُقصد بالوظيفة "الغرض الذي يحققه نصٌّ ما في إطار موقفٍ تواصليٍّ " [27]، و قد يحمل نصّ المداخلة عدّة وظائف، فيكون ذا وظيفةٍ معلوماتيةٍ أو إقناعيةٍ أو إمتاعيةٍ أو سوى ذلك من الوظائف . ولكنّ الوظيفة الغالبة عليه هي التي يُطلق عليها وظيفة النص . وأنجع سبيلٍ إلى الوصول إلى وظيفة النص هي الاعتماد على نظرية الفعل الكلامي التي تنظر إلى اللغة بصفةٍ عامّةٍ على أنّها "النظام اللغوي الكلي للفعل في مجتمعٍ ما، متضمّنٌ فيها النظام النحوي "[28].

الخلاصة :

1–إنّ الفعل الكلامي وحدةٌ صغرى في الخطاب ، وقد تكون فعلاً أو اسماً ، كما قد تكون ظاهرةً أو مضمرةً.

2–لم يعد الإنشاء شرطاً للحصول على فعلٍ كلامي ، فالأقوال الخبرية تنجز فعلاً عند التلفظ بها كما الأفعال الإنشائية .

3–يختلف الفعل الكلامي المركب عن متوالية الأفعال الكلامية ولكلّ منهما شروطه الخاصة التي تميزه وتحدّد الغرض منه .

---

[24] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ص 285 ، ص ص 309 – 313 .

[25] فان ديك : النص بنى ووظائف ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص ، مرجع سابق ، ص174

[26] فان دايك : النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، مرجع سابق ، ص ص 323– 326

[27] كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج) ، مرجع سابق ، ص 107 .

[28] المرجع السابق ، ص 113 .

4-يلعب الخطاب دوراً كبيراً في تحديد إنجازية الفعل ، وتختلف هذه القوة من خطابٍ لآخر ، كما تختلف من سياقٍ لآخر.

5- إنّ فعل الكلامي الإنجازي هو العامل المؤثر في تحديد البنية الدلالية الكبرى للنص .

6-إنّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفعل الكلام ، كما أن الاتفاقات المتواضع عليها تداولياً ومجتمعياً تحدّد قوة الإنجاز للفعل الكلامي.

7-إنّ الوصول إلى وظيفة النص تتحقق في الاعتماد على نظرية الفعل الكلامي التي تنظر إلى اللغة بصفة عامة على أنها النظام اللغوي الكلي للفعل في مجتمعٍ ما.

المصادر والمراجع:

1- الحجاج في التداولية : د صابر حباشة ، دار الكتاب الجديد ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2010م .

2- التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج) : كلاوس برينكر ، ترجمة : سعيد مصلوح، دار الشروق ، مصر، 2002م.

3- التداولية من أوستين إلى غوفمان – فيليب بلانشيه ، ترجمة : صابر حباشة ، دار الحوار للنشر ، اللاذقية، ط1، 2007..

4- فلسفة العقل – دراسة في فلسفة جون سيرل – صلاح إسماعيل- دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –د/ط – 2007م .

5- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات) : فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء ، 2005م .

6- مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): زتسيسلاف اورزنياك ، ترجمة : عبد اللطيف فتح الله السيد ، مكتبة الباب العالي، مصر ، 2007م .

7- النص بنى ووظائف ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص : فان دايك ، ترجمة : محمد شومان ، دار الكتاب الجديد ، الأردن ، الطبعة 1 ، 2006م.

8- النص والخطاب والاتصال : محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة 2 ، 2007م .

9- النص والسياق :استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي – فان ديك ،ترجمة :عبد القادر قنيني – الدار البيضاء إفريقيا الشرق 2000م